

في نور محمّد فاطمة الزهراء

لقي بعض ساداتهم، فعرض عليهم الدين الحقّ، فإذا هم يلقونه أسوأ لقاء، وإذا هم منه يسخرون! قال أحدهم بامتهان: أما وجد أنّ أحداً يرسله غيرك؟! ونأى آخر بجانبه، وهو يرميه بالبهتان، بكلمات غمّارة يجري سمّها مع اللعاب: وإني لا أكلّمك أبداً! لأنّ كنت رسولاً من عند الله لأنّ أعظم خطراً من أن أردّ عليك! وإن كنت كاذباً فما ينبغي لي أن أكلّمك! أمّا ثالثهم - وكأَنَّه ثالثة الأثافي [709] التي تكمل للقدر ثباتها على النار لتسوية ما بها من طعام - فقد أكّد أن تصديقه مأكّل فجّ نية لا يسوغه مذاق، وإنّما تكذيبه هو الطعام الأثير الذي بلغ غاية نضجه، وطاب له ولقومه أجمعين! قال ذلك الثالث باستهزاء: إني أمرط [710] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك! فقرن امتناناً بامتناع! فكما أنّ ما كان ليمرط كسوة الكعبة، كذلك لم يكن ليصدّق أبداً رسالة الرسول. وعلى مثل هذا النحو الأحق من التكذيب جرى سادة ثقيف، وبخلاف ما تقضي به الأعراف من قري الغريب، أبوا أن يضيّفوه فضلاً عن أن يساندوه! أغلقوا دونه الأبواب، جفوه كجفو السيل ما به من قذى ونفايات، طردوه! قالوا له: أخرج من بلدنا والحق بأرضك! حتّى أُميّة بن أبي الصلت شاعرهم المتبتّل [711]، سار على نفس الدرب، غير مبق على إشرافة المعرفة التي ومضت أعواماً في أحناء قلبه كشررة، حقداً وضغينةً رمى بعلمه وراء ظهره ... كان طموحه أكبر من ملكاته، وكان نكوصه يومئذ حسداً وغيره أن تقلّصت أمانيه التي عاش لها عمره الطويل، وتبدّد حلمه أن يكون هو النبي المبعوث!!